

العقيدة - العقيدة من مفهوم القرآن والسنة - الدرس ( ٢٤-٤٠ ) : مستلزمات التوحيد -٤- الرجاء والدعاء

فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-١٢-١٨

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، زدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

#### مقدمة :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الرابع والعشرين من دروس العقيدة، والموضوع اليوم من لوازم العقيدة؛ الرجاء، والدعاء، والاستعانة، والتوسل، والتوكل، وسوف نشرح بفضل الله عز وجل وتوفيقه بعض هذه الخصائص التي هي من لوازم الإيمان، ولا بد من مقدمة .

الحقيقة: أن علم العقيدة، وقد ذكرت قبل قليل، أننا في الدرس الرابع والعشرين من دروس العقيدة، الحقيقة: أن علم العقيدة لا يعني فقط أن تعرف ماذا ينبغي أن تعتقد؟ هذا شطر من علم العقيدة، العقيدة الكاملة أن تعرف ماذا ينبغي أن تعتقد، وماذا ينبغي أن يكون موقفك مما تعتقد؟ العقيدة الكاملة اعتقاد ووجهة إلى الله، اعتقاد وسلوك وموقف،



فحينما نفهم أن العقيدة تعني أن تعتقد أنه لا إله إلا الله، ماذا كان موقفك من علم التوحيد؟ هل رجوت غير الله؟ هل استعنت بغير الله؟ هل توكلت على غير الله؟ هل عقدت الأمل على غير الله؟ هل خفت من غير الله؟ ما قيمة أن تعتقد أنه لا إله إلا الله، والتطبيقات العملية لهذا الاعتقاد لم تكن موجودة؟ فلذلك أن تعرف ماذا ينبغي أن تعتقد شطر العقيدة؟ .

العقيدة الكاملة أن تعرف ماذا ينبغي أن تعتقد، وأن تعرف أيضاً ماذا ينبغي أن تفعل مما تعتقد؟ .

## هذه العقيدة الإبلسية :

أوضح مثل: أنه إذا اعتقد أن هذا المرض الجلدي لا يشفى إلا بالتعرض لأشعة الشمس، فمهما حدثتنا عن أشعة الشمس، وعن فوائدها العظيمة في شفاء هذا المرض، ولم تتعرض أنت لأشعة الشمس، فإن هذه العقيدة لا قيمة لها إطلاقاً، ويمكن أن أسميها عقيدة إبليسية، آمن بالله رباً، وعزيراً، وخالقاً، وآخر، ولكن عمله وسلوكه لا ينتمي إطلاقاً إلى هذه العقيدة .

## لا يخافن العبد إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه :

أيها الأخوة الكرام، نجتمع مع أناس كثيرين، تجده يعلق رجاءه على غير الله، إما على دولة كبرى، أو على جهة غنية، أو جهة قوية، ويرى أن في تدخلها الحل الناجح، وأن في عطائها الخلاص من الفقر، وأن في دعمها العز بعد الذل، هذا فاقد الإيمان كلياً، يجب أن تعقد الرجاء على الله عز وجل. لا يخافن العبد إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه .

ينبغي أن تخاف من شيء واحد هو ذنبك، وينبغي أن ترجو جهة واحدة هي ربك، لأن كل شيء بيد الله :

(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)

[سورة الزمر الآية: ٦٢]

وأن الأمر كله بيد الله :

(وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ)

[سورة هود الآية: ١٢٣]

(فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ)

[سورة البروج الآية: ١٦]

فلا ينبغي أن تخاف من غيره .

## ما معنى هذه الآية؟ :

أدق معنى ورد في هذه الآية الكريمة:

(وَمَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ)

[سورة الأنعام الآية: ٨٠]



في قوى الآن بالأرض مخيفة؛  
طواغيت، جبابرة، ظالمون، عتاة،  
يتمنون أن يبنوا أمجادهم على البشرية  
كلها، على الشعوب بأكملها، على  
حريتها، على ثقافتها وكرامتها، على  
فقرها، لكن الله عز وجل يقول:

**(وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِنْ أَنْ يَشَاءَ  
رَبِّي شَيْئًا)**

[سورة الأنعام الآية: ٨٠]

هؤلاء الطغاة الكبار أخافهم ولا أخافهم، أخافهم إذا سمح الله لهم أن يصلوا إليه، ولا أخافهم إذا لم  
يسمح الله لهم أن يصلوا إليه، بالضبط كمجموعة وحوش كاسرة، أزمتم بجهة قوية حكيمة عادلة،  
علاقتي مع هذه الجهة وليس مع الوحوش، فإن أرخى زمامها وصلت إلي ، وإن أبعدا عني نجوت  
منها :

**(فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُون \* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا  
إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**

[سورة هود الآية: ٥٥-٥٦]

### من لوازم معرفة الله عز وجل :

أيها الأخوة، المفهوم التقليدي لعلم العقيدة، أنه يجب أن تعتقد بكذا وكذا، وانتهى الأمر، لا، وأن  
يكون حالك كذا وكذا، لذلك: كان هذا الدرس من دروس العقيدة المتكاملة، من لوازم معرفة الله  
عز وجل؛ أن ترجوه، وألا ترجو أحداً سواه، أن تعلق عليه الآمال، أن يكون الله عز وجل محط  
الرحال عندك، أن ترجو ما عنده، أن ترجو الدار الآخرة، وكل ما قرب إليها من قول أو عمل .

### أمر غير معقول :

آية دقيقة جداً، يقول الله عز وجل:

**(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ  
عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا)**

[سورة الإسراء الآية: ٥٧]

هؤلاء المشركون الذين عبدوا أصناماً، وكانت هذه الأصنام رموزاً لأناس صالحين، هؤلاء الأناس  
الصالحون كانوا يرجون رحمة الله، ويخشون عذابه، أنتم لما تعبدون من دون الله، شيء غير

معقول، هذا الذي تعبد من دون الله، يخشى رحمة الله وعذابه، ويبتغي إلى ربه الوسيلة، أية وسيلة أقرب يسلكها إليه، يرجو رحمته، ويخشى عذابه .

لو أردت أن أسقط معنى هذه الآية على واقع المسلمين: لو أن طالب علم بالتعريف الشرعي، أو مريداً بالتعريف القلبي، علق أمله على الشيخ، وظن أنه يرفعه أو يخفضه، يعطيه أو يمنعه، يقربه، ونسي الله عز وجل، والشيخ نفسه يفتقر إلى الله أشد الافتقار، ويرجو ما عند الله أشد مما ترجو أنت من الشيخ .

### هذا التوحيد :

مرة دخل أحد كبار الأئمة، فرأى تلاميذه، وقد التفوا حوله، واجتمعوا عليه، ووقروه، وعظموه، فدعا هذا الدعاء فقال: يا رب لا تحبني عنك بهم، ولا تحبهم عنك بي، هذا التوحيد .

### ماذا تفهم من هذا الموقف لأبي بكر؟ :

أنا أتصور -والله أعلم- أنه ما من رجلين على وجه الأرض، من آدم إلى يوم القيامة، أحبا بعضهما بعضاً، كسيدنا الصديق ورسول الله عليه الصلاة والسلام، أما حينما توفي النبي ماذا قال الصديق؟ قال: من كان يعبد محمداً -من دون أي لقب، من دون رسول الله، قل: من كان يعبد النبي محمداً، من كان يعبد الرسول محمداً، من كان يعبد هذا الرسول -من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

أنا أتصور أن قلبه كاد يتمزق من الأدب، ولكنه خشي على المسلمين أن يشركوا، خشي عليهم أن ينسوا ربهم، لذلك ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

### احذر أن تزل قدمك إلى هذا المستوى :

هذا الذي تظنه يقدم لك شيئاً ثميناً، هو يرجو رحمة الله مثلك، ويخشى عذابه مثلك، فيبتغي أن تتجه إلى الله، فيمكن أن أقول: ضمن هؤلاء الصالحين، وصحبة الصالحين من وسائل الوصول إلى الله عز وجل، لا أن تعبدهم من دون الله؟ ألم يقل الله عز وجل:

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ)

[سورة التوبة الآية: ٣١]

هذا شيء واقع :

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ)

[سورة التوبة الآية: ٣١]

والمسلمون أحياناً تزل أقدامهم فيصلوا إلى هذا المستوى .

## المطلوب منك :

أيها الأخوة الكرام، يجب أن تترجو الله، وتعقد الأمل عليه، وتضع كل الثقة به، وألا تعلق أملاً على غيره، إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان عليك فمن معك؟ أولئك الذين يدعون، أي أولئك الذين يدعون من دون الله، ويقدمونهم، ويعظمونهم، ويعبدونهم من دون الله، هؤلاء صالحون يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وأقربهم إلى الله عز وجل، من جعل وسيلته طاعته لله عز وجل :

**(وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)**

[سورة الإسراء الآية: ٥٧]

## ما هي مقامات الإيمان؟ :

قال بعض العلماء: ابتغاء الوسيلة، طلب القرب منه بالعبودية والمحبة، ومقامات الإيمان الثلاثة: الحب والخوف والرجاء.



يا رب إنك تعلم أنني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحبيك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بآلاني، ونعمائي، وبلائي، ذكرهم بنعمائي كي يحبوني، وببلائي كي يخافوني، وبآلاني كي يعظموني .



ينبغي أن يمتلئ قلبك محبة وخوفاً وتعظيماً لله عز وجل .

عَنْ جَابِرٍ قَالَ:

**((سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثِ يَقُولُ: لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ**

**الظَّنَّ))**

وفي الحديث القدسي:

**((أنا عند حسن ظن عبدي بي، فليظن بي ما يشاء))**

## حديث :

أيها الأخوة، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ:

((دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَبَكَيتُ، فَقَالَ: مَهَلًا لِمَ تَبْكُ؟ فَوَ اللَّهُ لَئِن اسْتَشْهَدْتُ لِأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِن شَفَعْتُ لِأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِن اسْتَطَعْتُ لِأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ، إِلَّا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا، وَسَوْفَ أَحَدْتُكُمْ بِهِ الْيَوْمَ، وَقَدْ أَحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ))

ما هو التمني؟ :



التمني بضاعة الحمقى

أيها الأخوة، الحديث عن الرجاء ينقلنا إلى علاقة الرجاء بالتمني، التمني أن تتمنى شيئاً كبيراً عظيماً دون أن تفكر في دفع الثمن، أن تتمنى الجنة دون أن تعمل لها، أن تتمنى النجاة من النار دون أن تنقيها، وفي الدنيا هل يكفي أن تكون غنياً وتقع في البيت؟ هل يكفي أن تتمنى أن تكون عالماً من علماء الدنيا وتقع في البيت؟ مستحيل، لذلك ربط الله عز وجل رجاء ما عنده بالعمل :

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا)

[سورة الإسراء الآية: ١٩]

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا)

[سورة الكهف الآية: ١١٠]

من هنا قيل: طلب الجنة من غير عمل ذنب من الذنوب .

((يا بن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا بن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، أتيتك بقرابها مغفرة))

[أخرجه الترمذي في سننه]

## ما علامة الرجاء؟ :

سئل بعض العلماء: ما علامة الرجاء؟ قال: أن يكون إذا أحاط بالإنسان الإحسان ألهم الشكر، راجياً بتمام النعمة من الله عليه في الدنيا والآخرة، وراجياً تمام عفوهِ في الآخرة. جاءتكَ النعم ينبغي أن تشكر، جاءك البلاء ينبغي أن تصبر، هذا من علامات الإيمان .

## ما مغزى هذه القصة؟ :

مرة أحد علماء دمشق الأجلء، له ابن درس الطب، ثم نال البورد، ثم دخل كلية الشريعة، ثم حفظ القرآن، ثم أدى الخدمة الإلزامية، ثم خطب له وعرسه، بعد أيام وافته المنية بحادث سير، ذهبنا على مدينة بالشمال لتعزيتته، والله ما كنت أصدق عيني أنني أرى إنساناً باشاً عنده دعاية، قلت: يا رب إنسان فقد أتمن شيء له في الدنيا، وبهذا المرح، وبهذا الترحيب بالضيوف، كيف استقبل قضاء الله عز وجل؟ هذا من علامات الإيمان أن تستقبل قضاء الله بالرضا .

## هذه علامة الإيمان :

هذه المرأة التي مات ابنها، فلما جاء زوجها، سألتها عن الابن، قالت: هو في أهدأ حال، هيأت له الطعام، وتزينت له، وناما ليلة واستيقظا، فقالت له: لو أن الجيران أودعوا عندنا وديعة، ثم طلبوها، قال: هذا من حقهم، قالت: هكذا فعل الله عز وجل، فلما قص على النبي ما حدث له من زوجته أم سليم، قال له النبي الكريم: بارك الله لكم في ليلتكما .  
مر معي في السيرة، أن بعض الصحابة، إذا توفي لهم ابن، كانوا يتزينون ليعبروا عن رضاهم بقضاء الله وقدره، هذه علامة الإيمان .  
بالمقابل: أعرف رجلا ميسور الحال، وعنده معمل، وله ابن في الصف التاسع، توفي، فترك الصلاة نهائياً، لماذا قبضه الله؟ .

## هذا الدين :

الرسول عليه الصلاة والسلام أولاده جميعاً توفوا، زوجته الحبيبة الوفية توفيت، عمه توفي، ترك مكة، وهاجر إلى المدينة، أودي في الله، وما أودي



يجب أن تكون مع الله في السراء والضراء

أحد مثله، وخاف في الله، وما خاف أحد مثله، ومضى عليه ثلاثون يوماً لم يدخل جوفه إلا ما يواريه إبط بلال ....

هذا الدين، الدين أنت مع الله في السراء والضراء، في الغنى والفقر، في الصحة والمرض، بإقبال الدنيا وإدبارها، وإلا ما قيمة هذا الدين الذي يزول بمصيبة صغيرة؟ .

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)

[سورة الأحزاب الآية: ٢٣]

#### ما معنى هذا الحديث؟ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهُ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولًا))

معنى هذا الحديث: لمجرد أن تتوجه إلى الله، وتخطب وده، وتتقرب إليه بطاعة، بصيام، بصدقة، بقيام، بغض بصر، بشيء يرضيه، رأيت الله عز وجل يقبل عليك، ويملاً قلبك غنى، ويتجلى عليك بالسكينة، لمجرد أن تتحرك نحوه، أقبل الله عليك .  
لو يعلم المعرضون انتظاري لهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم، لتقطعت أوصالهم من حبي، ولماتوا شوقاً إلي، هذه إرادتي بالمعرضين، فكيف بالمقبلين؟ .

#### ما نقل عن العلماء :

يوجد قول عن أحد العلماء: القرآن والسنة حق مئة في المئة، لكن ما سوى الكتاب والسنة، كلام له وجه مقبول، ووجه آخر قد يكون غير مقبول .

أحد العلماء يقول: إلهي أحيا العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاؤك .

روي عنه أيضاً أنه قال: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال، لأنني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص، وكيف أصفها، وأحرزها، وأنا بالآفات معروف؟ وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك، وكيف لا تغفرها، وأنت بالجدود موصوف؟ إذا اعتمدت على عملك، ربما كان العمل غير مخلص .





(وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ  
هَبَاءً مَّنْثُورًا)

[سورة الفرقان الآية: ٢٣]

وقد يكون لك أعمال كالجبال، وكجبال  
تهامة، فيجعلها الله هباءً منثوراً، من  
هؤلاء؟.

عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ، أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ هَبَاءً مَّنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا  
نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا  
بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

فهذا كلام عميق، لكن ينبغي أن يفسر الرجاء مع الذنب، يوجد فيه افتقار إلى الله، وقلق، واعتماد  
على عفو الله فقط، أما الرجاء مع العمل قد يكون الاعتماد على العمل، والعمل منوط بالإخلاص،  
والإخلاص ليس من السهل أن تكون مخلصاً، لأنه ضمن الحقل الديني في دنياك .  
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِنِبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيَجَارِي بِهِ السُّقَهَاءَ،  
وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ))

## ماذا يرافق التمني وماذا يرافق الرجاء؟ :

أيها الأخوة، الرجاء شيء، والتمني شيء آخر، التمني بضاعة الحمقى، الأحمق يتمنى دائماً، أما  
الذي يريد الوصول لمرتبة معينة، هذا لا يتمنى بل يرجو، الرجاء يرافقه السعي :

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا)

[سورة الإسراء الآية: ١٩]

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا)

[سورة الكهف الآية: ١١٠]

أما التمني فمقرون بالكسل والقعود .

## من لوازم الإيمان :

من لوازم الإيمان، ونحن في الحديث عن علم العقيدة عن شطرها الثاني، ماذا ينبغي أن تكون عليه؟ ينبغي أن تكون العقيدة هكذا، وينبغي أن تكون أنت هكذا، شطران؛ ماذا ينبغي أن تعتقد، وماذا ينبغي أن تكون عليه؟ .

ممكن لإنسان مجند غر، يساق على الخدمة الإلزامية، وقائده منضبط، وهو والده، ويأتي عنصر مجند، ويهدده فيبكي وينهار، هذا أحق، هو منضبط، والذي على رأس الجيش كله والده وتقلق؟ إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟ جزء من الثقة بالله من لوازم الإيمان، بهذه المحن التي ألمت بالمسلمين، بهذا الإحباط الذي ألم بهم يسوا، تطلعوا إلى القوي فقط، يرحمون أو لا يرحمون، ونسوا الله فنسيهم :

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

(الْوَكِيلُ)

[سورة آل عمران الآية: ١٧٣]

## اعلم هذه الحقيقة :

الدعاء، يوجد حقيقة، أتمنى على الله أن تكون واضحة عندكم، عد الله ترك الدعاء كبراً، والكبر من لوازمه الحجاب، الدليل:

(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)

[سورة غافر الآية: ٦٠]

أخواننا الكرام، المؤمن فيما بينه وبين

الله متذل، يدعوه دائماً، يمرغ جبهته على أعتاب الله عز وجل، قد يكون له شأن كبير في الحياة، لكنه مع الله في أدق الدرجات من التذلل والخضوع له .

مثلاً: أحد كبار القادة الإسلاميين الذين انتصروا، وردوا التتار، والتتار اجتأحوا العالم ، سجد وقال: يا رب، من هو الكلب نور الدين حتى تنصره؟ انصر دينك يا رب، هو لا شيء ، فكلما تذللت إلى الله رفعك الله .....



## ما روي عن التاريخ :

يوجد طاغية في أوروبا الشرقية قال: إذا حمل هذا الصفصاف الإجاص، أتتحي عن منصبي، فلما نحي عن منصبه بالقوة، وضع الشعب حبات الإجاص على الصفصاف، ربطوها ربط .  
روى التاريخ، ما من قائداً فتح بلداً، إلا واستكبر، وتغطرس، واستعلى، وتعجرف، إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام حين فتح مكة، دخلها متواضعاً لله، مطأطئ الرأس، حتى كادت ذؤابة عمامته، تلامس عنق بعبيره، من تواضعه لله عز وجل .

## اسأل ربك حاجتك كلها :

ترك الدعاء كبر، اسأل ربك حاجتك كلها، اسأله ملح طعامك، وشسع نعلك إذا انقطع.  
إن الله يحب الملحين في الدعاء .  
تدلل بين يديه، لك مكانة كبيرة، والله عز وجل يرفع لك ذكرك، لأنك بينه وبينك في منتهى الخضوع، لكن أهل الدنيا يستكبرون عن أن يدعوا الله، فإذا جاءه من هو أقوى منه، أصبح ذليلاً أمامه كالقط، أليس كذلك؟ المؤمن ذليل أمام الله، لكنه على أهل الدنيا معتز بالله عز وجل .

## من صفات المؤمنين :



من صفات المؤمنين:

**(أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)**

[سورة المائدة الآية: ٥٤]

مشى أحد الصحابة، وتبختر أمام الأعداء، فقال عليه الصلاة والسلام:

**((إن الله يكره هذه المشية إلا في هذا**

**الموطن))**

وقد قال الشافعي: التكبر على المتكبر صدقة، شيء مخيف والله :

**(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)**

[سورة غافر الآية: ٦٠]

أما المؤمنون:

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

[سورة السجدة الآية: ١٦]

اقرأ :

في جامع الترمذي بإسناد صحيح، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ:  
((لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَنْبَتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَرَفْتُ أَنْ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ، أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامًا، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ))

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ:

((أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلَا تَدْعُ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ:

((كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ، وَخُنْتُ نَسِيرًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى:

( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا )

الآية

[السجدة: الآية ١٦]

ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذُرُورَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرُورَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: تَكَلَّمَ أَمَّاكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِنْ حَصَانِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

## ما المقصود بهذا الحديث؟ :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ: مَا يَسْرُنِي أَيُّ حَكَيْتُ رَجُلًا، وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ: فُفُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةً، وَقَالَتْ بِيَدِهَا: هَكَذَا، كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ مَزَجْتَ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتَ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمْزَجْ))

المياه المالحة لمدينة كبرى لا تنجس البحر، بينما كلمة قصيرة عن أختها .

## هل أدركت قيمة الدعاء؟ :

أقوى حديث في الدعاء، لا يغني حذر من قدر، لأن الذي يستحق تأديب الله عز وجل، يؤتى من مأمنه، يأخذ كل الاحتياطات، فيأتيه الله من حيث لا يحتسب، يؤتى الحذر من مأمنه .  
عَنْ مُعَاذٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:



((لَنْ يَنْفَعَ حَذْرٌ مِنْ قَدْرٍ، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بالدعاء))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والإمام أحمد في مسنده]

وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة .

## ما وظيفة هذه الأحاديث التي سمعناها اليوم؟ :

أيها الأخوة، مرة قلت لكم: إن هذه الأحاديث لها وظيفتان: الوظيفة الأولى أن تكون هدفاً لك في سعيك إلى الله، هكذا ينبغي أن تكون، والوظيفة الثانية أن تكون هذه الأحاديث مقياساً لك، أين أنت؟ هل أنت متمثل بهذه الصفات؟ هل ترجو الله عز وجل؟ هل تعقد الرجاء عليه؟ هل تيأس مما سواه؟ هل تطلب منه الرحمة والحفظ؟ قصص لا تعد ولا تحصى، أنه من أخذ بالأسباب، ولم يتوكل على الله، وتوكل عليها، يؤتى من مأمنه، من مكان أمنه، أما من أخذ بالأسباب، واعتمد على الله عز وجل، يحفظه الله عز وجل .

## الدعاء من دون عمل استهزاء بالله عز وجل :

الحديث عن هذا الدرس إن شاء الله، من لوازم الإيمان الرجاء والدعاء، والرجاء شيء والتمني شيء آخر، التمني بضاعة الحمقى .  
وقد قال الله عز وجل:

**(لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)**

[سورة النساء الآية: ١٢٣]

بربكم في الأزمة الأخيرة، التي احتلت بها العراق، هل تصدقون أنه ما من مسجد في العالم الإسلامي، إلا وجأر إلى الله في الدعاء، وفي الصلوات الخمس، يذكرون ذلك شهرين وثلاثة، دعاء القنوت في كل الصلوات، هل استجاب الله لنا؟ لا، أدعو لليأس، معاذ الله، لكن الله عز وجل لا يعبأ بدعائنا من دون عمل .

واحد راكب سيارة، توقفت فنزل، فقال: يا رب ليس هناك غيرك، يا رب يسر، لم يستفد شيئاً، لو تدعو عشر ساعات تبقى بمكانك، افتح الغطاء، وابحث عن الخلل، قل: يا رب يسر لي اكتشاف الخلل، يسر لي إصلاحها، لذلك قيل: الدعاء من دون عمل استهزاء بالله عز وجل .  
طالب قال: يا رب وفقني، وأريد المرتبة الأولى، وأريد الطب، وهو لا يدرس، كلام فارغ، ادرس وادع أن يوفقك الله، يا رب ألهمني الصواب، وأعني على إجابة جيدة، وتطلق لساني، فأنا لا أصدق واحداً يدعو من دون عمل .  
سيدنا عمر رأى رجلاً ناقته مصابة بالجرب، قال: يا أبا العرب ماذا تفعل مع ناقتك؟ قال له: أدعو الله أن يشفيها، قال: هلا جعلت مع الدعاء قطراناً؟ هذا عملاق الإسلام .

## مشكلة المسلمين اليوم :

في العالم الآن: اللهم دمر الأعداء، وشتت شملهم، واجعل الدائرة تدور عليهم، واجعل تدميرهم في تدبيرهم، اللهم أرنا قدرتك بهم، وهم قاعدون، لا حركة، ولا سكنة، ولا تعاون، ولا تعديل، ولا تغيير، ولا تفكير، وخمول، وانغماس في الدنيا، وعليك بهم، فإنهم لا يعجزونك ، ما هذا الكلام؟ قم واسع :

**(وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)**

[سورة التوبة الآية: ١٠٥]

الدعاء من دون عمل استهزاء، لا يوجد إنسان وصل إلى شيء دون تعب، هذه الدنيا دعك من الآخرة، ما من إنسان وصل إلى شيء ثمين في الدنيا إلا بالسعي .

مرة زرت معملاً، أنبأني صديق لي، أن صاحب المعمل من خمس وعشرين سنة ، شيء لا يصدق، الساعة الخامسة يأتي، ويخرج آخر رجل، ضابط لكل شيء، التصنيع، والشحن، والتسليم، والحسابات، اشترى بيئاً بمئة وستين مليوناً، هذا البيت بسبب الخامسة صباحاً إلى الثامنة ليلاً، ضبط أموره، هكذا الدنيا لها قوانين، والآخرة لها قوانين، ليس لنا غير الدعاء، الدعاء أخطر شيء تفعله، وعلبك بالسعي أولاً .

### نهاية المطاف :



لماذا زهد الناس في الدعاء؟ مهما دعوت لا يستجيب الله لك، لأننا لم نطبق شيئاً :

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

[سورة الأعراف الآية: ٥٥]

ما دام يوجد اعتداء على أخيك، اعتداء أدبي، مالي، تغشه، تحال عليه، تبيعه بضاعة مصدرها تايواني فرضاً، على

أنه من مستوى أرقى، ما دام هناك تدليس، وكذب، وغش، واحتيال، واحتكار، ومهما دعوت واصلت كل يوم في أول صف، إن الله نظر إلى أعمالنا وقلوبنا وسلامة نفوسنا . فيا أخواننا الكرام، الدعاء أخطر سلاح بيد المسلم، لكنه لا يفلح إلا إذا رافقه عمل وسعي :

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

[سورة الأعراف الآية: ٥٥]

إن شاء الله في درس قادم نتحدث عن الاستعانة، وعن ابتغاء الوسيلة، وهذان موضوعان دقيقان، ينبغي أن يوضحا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين .

**والحمد لله رب العالمين**